إشكالية تمثل الاتجاه الأسلوبي في النقد الجز ائري
د. مريم شويشي، جامعة مصطفى اسطمبولي. معسكر

مقدمة:

طرحت الأسلوبية عدة تساؤلات على الصعيدين الأدبي واللساني؛ فتباينت الآراء واختلفت المواقف حول طبيعة العلاقة بينها وبين العلوم الأدبية واللغوية (البلاغة، النحو، اللسانيات...)؛ إذ عدها البعض علما قائما بذاته يعنى بدراسة الأسلوب، وعدها آخرون امتدادا للبلاغة القديمة وسماها البعض بالبلاغة الجديدة. وبين هذا وذاك اختلف النقاد والبحاثة من حيث التأصيل لهذا الاتجاه، وهل هو غربي البيئة أم له جذور في تراثنا العربي؟

2.الأسلوب/ الأسلوبية بين إشكالية الماهية والحدود النظرية

1.2 الأسلوب style / الأسلوبية stylistique:

يرى الناقد "عبد الملك مرتاض" أن مصطلح (أسلوبية) من الألفاظ الدخيلة على اللغة العربية ويضعه مقابلا للاصطلاح الأجنبي (**stylistique**) بوصفه الوريث الأقرب ما يكون لعلم البلاغة[1]، موضحا طبيعة **الأسلوب** تبعا للفترة الزمانية، فتعدد الأساليب في نظره يرجع بالدرجة الأولى إلى اختلاف الكتاب والمنظرين، كما يختلف تبعا للقدامى، والمحدثين، والمعاصرين، والمعاصرين والبنيويين، واستشهد على ذلك بالمقارنة بين تصورات كل من: "**فولتير**"، "**الجاحظ**" (أبو عثمان عمرو بن بحر) (ت255هـ)، "شاطوبريان" ليخلص إلى نتيجة مفادها أن تصورات "الجاحظ" من خلال قوله: (المعاني مطروحة في الطريق: يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي...وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء) تتقاطع وأفكار "فولتير" من خلال

[1]. ينظر عبد الملك مرتاض: الأمثال الشعبية الجزائرية؛ تحليل لمجموعة من الأمثال الزراعية والاقتصادية، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ص 110.

قوله: (الناس يحملون، على وجه التقريب، الأفكار نفسها. وهو شيء في متناول الجميع. وإنما التعبير والأسلوب هما اللذان أن الفرق تحديدا دقيقا. أن الأسلوب ليفرد أكثر الأشياء عمومية، فيقي الضعيف، ويضفي العظمة على الشيء البسيط) .

ويفهم من كلاهما أن الأسلوب مراس وصنعة، وهو ما يخالفان به تصورات "شاطوبريان"الذي يرى في الأسلوب هبة من السماء[1]. أي أن الأسلوبية حديثة النشأة أما الأسلوب فله امتدادات في التراث.

ويصفها بالعلمية في قوله: "والحقيقة أن الأسلوبية، إذا تجاوزنا بعض المفاهيم المتحذلقة المتقعرة لها، هي علم معرفة الأسلوب؛ أي علم 'بيداغوجية الحديث' الذي يوجهه واحد منا إلى الناس مكتوبا، أو منطوقا: فهو من حيث طبيعته الأدبية يجب أن يتخذ صورة بيانية معينة، ويصب في نظام أسلوب (أسلوب) محدد لا يعذره"[2].

وناقدنا هنا يجعل الكلام الفني بوجهيه الشفهي والمنطوق محط اهتمام الأسلوبية، لكنها أضحت مع "رومان جاكبسون" مهتمة بالبحث عن مميزات الكلام الفني عن سائر مستويات الخطاب الأخرى مقصية بذلك الكلام العادي والشفهي[3]، وهو الأمر الذي أكد عليه "ميشال ريفاتير" بعد ذلك.

يتفق الناقد "نور الدين السد" مع الناقد "مرتاض" على أنّ **الدرس الأسلوبي** ليس بدخيل على اللغة العربية ،فقد عرفته جميع المعارف التي اتخذت من الخطاب مجالا لها، وقد ارتبط. آنذاك. بالدراسات البلاغية والقرآنية والنقدية وكذا الشروح الشعرية، ويؤثر الناقد مصطلح **(الأسلوبية)** معللا اختياره برواجه بين الدارسين العرب، ولا خلاف في رأيه بين الترجمات الموضوعة من قبل نقادنا العرب للاصطلاح الأجنبي **(stylistique)** كـ (الأسلوبيات، علم الأسلوب، الأسلوبية) مادام أنها تتفق على مفهوم واحد لا يخرج عن (الدراسة العلمية للأسلوب الأدبي)، مشيرا إلى ضرورة تحديد دلالات المصطلحات لأهميتها في تحديد الحقول المعرفية[4]

---

[1] .ينظر عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية؛ تحليل لمجموعة من الألغاز الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، جامعة وهران، الجزائر، 2007، ص ص 126،127.

[2] . المرجع السابق، ص 111.

[3]- Roman Jakobson : Essais de linguistique Générale, Ed Minuit, Paris, France, 1968, p 210.

[4] . ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب؛ دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، ج1، هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1997، ص 7 وما بعدها.

واتّجه الناقد "رابح بوحوش" . ضمن السياق ذاته . في مؤلفه (الأسلوبيات وتحليل الخطاب) نحو تقديم مفهوم **الأسلوبية** وفق ما جاء في الدراسات النقدية والمعجمية؛ حيث قدم بعض المفاهيم العربية لمصطلح الأسلوبية عند بعض النقاد المحدثين أمثال: "حمادي صمود"، "محمد الهادي الطرابلسي"، "عدنان بن ذريل"، "صلاح فضل"، "عبد السلام المسدي" إضافة إلى مفهومها الغربي عند الناقد "بيير جيرو" P. Guiraud، مشيرا إلى الأصل الاشتقاقي لمصطلح **(Stylistique)** في اللغتين (الانجليزية والفرنسية)، والذي قابله بالاصطلاح العربي **(الأسلوبيات)** وعنه يقول: "يبدو لنا أن هذا التعريف مستنبط من طبيعة المصطلح الأجنبي **"Stylistics"** الذي فضلنا ترجمته بالأسلوبيات، وهي كلمة مركبة من وحدتين: الجذر، الأسلوب "Stylus" التي تعني أداة الكتابة، أو القلم في الأصل اللاتيني، ومن اللاحقة "يات"، "ics "، المكونة هي بدورها من الوحدة المورفولوجية "ية" "ic " التي تفيد النسبة، وتشير إلى البعد المنهجي والعلمي لهذه المعرفة. زمن "ات"، " s"، الدالة على الجمع.كل هذه الوحدات مجتمعة تشكل علوم الأسلوب. أما الأسلوبية التي روج لها عبد السلام المسدي فهي آتية من المصطلح الفرنسي **"Stylistique"** المكون من وحدتين، الجذر أسلوب "style"، الذي هو ذو مدلول إنساني، واللاحقة "ية"، "ique" التي هي صفة للعلم؛ لأن تفكيك الوحدتين إلى مدلوليهما الاصطلاحي يعطي عبارة علم الأسلوب " science de style"."[1]

كما التفت الناقد -أيضا -إلى ما حدده "ديبوا" (**Jack Dubois**) في معجمه اللساني (الأسلوبيات والأسلوب) مشيرا إلى جملة الإشكالات الخاصة بالمصطلحين، لينتقل بعدها إلى تاريخ نشأة (الأسلوبية) التي لم تتضح معالمها- كما يرى الناقد - إلا بعد تبلور مفهوم اللسانيات بفضل جهود "فرديناند دي سوسير" في مؤلفه (محاضرات في اللسانيات العامة)، مقدما جملة من المفاهيم مختلفة باختلاف اتجاهات ومشارب أصحابها كما هو الحال مع "شارل بالي" Charles Bally، "ليوسبتزر" Leo Spitzer، "جيل ماروزو" Marrozou،...وغيرهم[2]

[1] .رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، د ط، د ت، ص 3.

[2] .ينظر المرجع نفسه، ص 13.

يتعرض الناقد "بوحوش"، في دراسة أخرى إلى الأسلوبيات والمناهج النقدية؛ فيرى أن الإشكالية التي وقعت فيها المناهج النقدية (الأسلوبية، السيميائية، البنيوية...) أساسها قصور نظرتها إلى الخطاب **(Discours)** على أنه فعل النطق، وفشلها أمام زئبقيته وتحوله في فك مغاليقه وسبر أغواره، فلما " كانت هذه المناهج النقدية تستمد لب عملها من المعارف التي تنتمي إليها، أو التي استعانت ببعض مفاهيمها، ونظرياتها تمثل القوانين الصارمة، والأنظمة الثابتة حصل التصادم، ووقعت المنافرة، لأن السلطة العلمية آمرة، والخطاب يرفض الائتمار، والانقياد، لذلك صار الخطاب الأدبي يظهر في كل موقف في صورة جديدة، إذ تارة في ثوب الكلام، أو الانجاز، أو الملفوظ، وطورا في زى الرسالة، أو البنية، أو النص، مما يدل على أنه يتشكل في صور جديدة (...) والخطاب الأدبي كيان فوضوي بالأصل يعمل ضد النظام، ويسعى إلى اختراق مجاله، وانتهاك مبادئه، لذلك فشلت العلوم التي طاردته، وحاولت الإمساك به، كاللسانيات الشعرية، والأسلوبيات، والسيميائيات، والبنيوية"[1]

يلتفت الناقد "علي ملاحي"، من جهته، إلى الخطوط العريضة لتلقي النص الأدبي من وجهة نظر الأسلوبية طارحا مفهومه للأسلوب؛ إذ يشير إلى مسألة ردود الفعل من طرف القارئ إزاء النص المقروء، فالنص من وجهة نظر ناقدنا أسلوب، يقول: "النص أسلوب...والأسلوب جملة من التقنيات المعتمدة..من قبل صانع النص من أجل وضع لبنة، مكوناتها هي الوحدات اللغوية التي تتحول من عناصر فارغة إلى رموز أو شفرات معبأة بمعاني تفرض نفسها على المتلقي بأشكال مختلفة تتحقق في ردود أفعال تصدر عن القارئ حالما يفرغ من قراءة النص. فالميكانيكي الذي يعمل على فك قطع غيار محرك السيارة لمراجعته ومعرفة مواطن الخلل فيه، يقوم بعملية اختبار لهذه القطع، كذلك يفعل المبدع إزاء عناصر اللغة، والمتلقي لا يختلف عنهما."[2] والأسلوبية هنا تدرس أساليب الكتابة اللغوية للمبدع ونسبة تأثيره في المتلقي.

وانطلاقا من عرض وشرح التعريفات الغربية الموضوعة لمصطلحي (الأسلوب/ الأسلوبية) عند كل من "جان كوهين"، "رومان جاكبسون"، بيير جيرو"، "بول فاليري"

[1]. رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، دار علوم للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، د ط، 2010، ص 76، 77.

[2]. علي ملاحي: مفاتيح تلقي النص من الوجهة الأسلوبية، مجلة اللغة والأدب، ع14، ص 09.

Paul Valery، "رولان بارث"، "ميشال فوكو"، وبعد تحديده لعنصري (الانزياح)، و(التفرد) كدعامتين أساسيتين تقوم عليهما الأسلوبية ويتحدد الأسلوب أيضا تبعا لهما، ينتهي الناقد "بشير تاوريت"، إلى مفاهيم مفادها أن الأسلوب يتعلق بطريقة أو كيفية الكتابة لدى كاتب ما، أما الأسلوبية فهي علم موضوعها الأسلوب، يقول: "وبكلمة موجزة الأسلوب هو الشخص أو الشيء الكاتب، إنه النسيج الذي يشكل معادلة رمزية تحمل في طياتها أبهى صورة من صور استخدام الكلام لدى كاتب ما. أما الأسلوبية فهي علم دراسة الأسلوب وبحث دائم في الأسس الموضوعية لهذا العلم أعني علم الأسلوب. هي باختصار مغامرة انزياحية داخل الجهاز اللغوي. في مستوياته المتباينة. مما يجعل الدوال تبتعد عن مرجعيتها في سياقاتها الأدبية، وبقدر انحيازها عما وضعت له أصلا يكون نصيبها من الأدبية"[1]

انتقل الناقد بعدها إلى البحث عن أصول الأسلوبية، فوقف في الإشارات الفلسفية عند بعض الشواهد ككتاب "أرسطو طاليس" (الخطابة) الذي ميز فيه الفيلسوف بين (الأسلوب القبيح) و(الأسلوب الجميل)، وقسم الأسلوب إلى (أسلوب متصل) وآخر (دوري)، كما لاحظ الناقد أيضا هذه الإشارات في كتاب "لون جاينوس" Janus (الأسلوب الرفيع) الذي تطرق فيه مؤلفه إلى الألفاظ والكلمات النفاذة في حسن الأسلوب، وتأثيرها في القارئ، وما للشاعر من دور في ذلك، في حين كشف "كونتليان" Quintition في القرن الأول ميلادي بعض القضايا المتصلة بالأسلوب منها: الوضوح، الفصاحة، الرشاقة، والملائمة كما قد تتفاضل النصوص تبعا لقدرة الكاتب على التصرف في استخدام مادته في كتابة النصوص، ويذهب الباحث في حديثه عن الأصول البلاغية للأسلوبية في تراثنا العربي إلى أن هنالك علاقة بين دلالات الأسلوب وتناسق الشكل الأدبي واتساقه في كلام بلاغيينا حول (إعجاز القرآن الكريم) ويستشهد بما جاء في كتاب "الباقلاني 403هـ" (إعجاز القرآن)، أما بالنسبة إلى "عبد القاهر الجرجاني، ت 471هـ" فقد استعملت كلمة (أسلوب) عنده للدلالة على التفرقة بين نظم ونظم آخر مدللا على قوله بما جاء في كتاب "الجرجاني" (دلائل الإعجاز) : واعلم أن الاحتذاء عند الشعراء، وأهل العلم بالشعر وتقديره وتمييزه أن يبتدئ الشاعر في معنى له، وغرض

[1]. بشير تاوريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، ص 149.

أسلوبي والأسلوب الضرب من النظم والطريقة فيه، فيعمد شاعر آخر إلى ذلك (الأسلوب) فيجيء به في شعره[1]

يحدد لنا الناقد "محمد بلوحي" من جانبه محددات كلا المصطلحين (الأسلوب/ الأسلوبية) اللذين وضعهما كمقابلين للاصطلاحين الأجنبيين **Style /Stylistique**، من خلال الوقوف على منطقاتهما واهتماماتهما؛ إذ ارتبط الأسلوب بالدراسات البلاغية القديمة فكان أسبق بالظهور من الأسلوبية التي برزت إثر ثورة "دي سوسير" اللسانية، ووفقا للدراسات التي ترى في الأسلوب اختيارا فقد أشار الناقد إليه (الأسلوب) من هذا المنظور (من زاوية الخطاب أو النص نفسه) وهو ما يوضحه قوله: "الأسلوبStyle سابق عن الأسلوبية **stylistique** في الظهور ،إذ ارتبط بالبلاغة منذ القديم في حين انبثقت الأسلوبية إثر الثورة التي أحدثتها لسانيات دي سوسير مطلعَ القرن العشرين في مجال الدرس اللغوي ومدى تأثيره فيما بعد في الدراسات النقدية والأدبية ،إذ يعد مفهوم الأسلوبية -كما هو معروف- وليد القرن العشرين وقد التصق بالدراسات اللغوية، وهو بذلك قد انتقل عن مفهوم "الأسلوب" السابق في النشأة منذ قرون، والذي كان لصيقاً بالدراسات البلاغية، ومن الممكن القول إن الأسلوب مهاد طبيعي للأسلوبية، فهو يقوم على مبدأ الانتقاء والاختيار للمادة الأدائية التي تقوم- في الخطوة التالية- الدراسات الأسلوبية بمهمة تحليلها من الناحية الأسلوبية المحضة؛ وتصنيفها حسب جماليتها الفنية؛ باتخاذها لغة الخطاب حقلاً للدراسة والاستقراء منها وبها تلج إلى عوالم النص لاستنطاقه وسبر أغواره."[2]

ولتقديم مفهوم الأسلوبية تبنى الناقد تصور "حسن غزالة" لها من خلال ما جاء في مقال له بعنوان (لمن النص اليوم للكاتب أم للقارئ؟)، واعتبرا الأسلوبية منهجا نسقيا يقصي من طريقه كل السياقات الخارجية، ويدرس النص من خلال لغته وما تقدمه من خيارات أسلوبية على شتى مستوياتها (النحوية، اللفظية، الصوتية، الشكلية) وما تفرزه

[1]. ينظر بشير تاوريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة ، ص ص 151، 152.

[2]. محمد بلوحي: الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية، مجلة التراث العربي، اتحاد كتاب العرب، دمشق، ع95، سبتمبر، 2004، ص 58.

من مضامين ومدلولات وقراءات ووظائف ومعان بين مستويات هذه اللغة والتي تكسبه تميزه وتفرده.[1]

يرى "محمد بلوحي"، أن الأسلوبية . أو علم الأسلوب كما يدعوها أحيانا . متداخلة مع علم البلاغة ويعتبرها امتدادا ونفيا لها في الوقت نفسه مستعينا في ذلك بآراء الناقد "عبد السلام المسدي" حول هذه الفكرة، كما يعتبرها مرتبطة باللسانيات أيضا ارتباط الشيء بعلة نشوئه بالرغم من ضآلة الفروق بينهما، ويقسمها تقسيما رباعيا يشمل كل من: الأسلوبية الوصفية، الأسلوبية الأدبية، الأسلوبية البنيوية، الأسلوبية الوظيفية، كما يشير "بلوحي" إلى قضية **موت القراءات الأسلوبية** بداية الستينيات وتحديدا عام 1965 الوقت الذي عكفت فيه الأبحاث عن الممارسة وفقا لرؤيتها ومفاهيمها، وهذا بعد استبدالها بالألسنية التأليفية **linguistique synthétique** مع "ميشال أريفي" M. Arrive بعد ظهور السيميائية وتأثيرها عليها، وانصهارها فيها.[2]

لم يتوقف الناقد "يوسف وغليسي"، عند تصوّر "ميشال أريفي" وغيره ممن أعلنوا (موت الأسلوبية) عام 1969؛ أي قبل أن تبلغها الساحة النقدية العربية، هذا ما جعله يتساءل ويتعجب: فهل معنى ذلك أن النقد العربي قد بلغها ميتة؟&...، وفي هذا الشأن يؤكد الناقد أن مسألة (موت الأسلوبية) هي مجرد نتائج أولية لم تصدر إلا عن نفر من الباحثين، هذا ما يجعل الحكم بالإعدام قابلا للاستئناف كما يقول، ويدلل على قوله بما فعله الناقد "جورج مولينيه" G. Molinié؛ إذ شخص الداء الذي أصيبت به الأسلوبية، وهو استخدامها كتابع ومساند دون معاملتها كعلم مستقل لذاته، وهو الأمر نفسه الذي حذر منه الناقد العربي "عبد السلام المسدي" الذي يرى أن هوية العلم لاتتجلى إلا باتضاح سماته وحدوده، وحتى تحافظ الأسلوبية على مكانتها في رأي الناقد "وغليسي" عليها "أن تلتزم حدودها العلمية، من جهة، وأن تثق بذاتها، من جهة ثانية؛

[1] . ينظر محمد بلوحي: الأسلوب بين التراث البلاغي العربي والأسلوبية الحداثية ، ص 59.

[2] . ينظر محمد بلوحي: الخطاب النقدي المعاصر من السياق إلى النسق؛ الأسس والآليات، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، د ط، 2002، ص 102.

أي أن تستنكف من أن تظل مجرد إجراء علمي مساعد لمناهج وعلوم أخرى أكبر وأشهر..."[1]

يرفض الباحث "محمد بن يحي" من جانبه، الفكرة السابقة (موت الأسلوبية) من قبل بعض الدارسين مؤكدا على أن سبب الأزمة المزعومة. كما يصفها. هم الدارسون أنفسهم لأنهم لم يتقيدوا بالصرامة المنهجية المطلوبة على المستويين النظري والإجرائي وعدم رسم حدود هذا العلم والفروق بينه وبين العلوم اللغوية الأخرى التي يكثر التداخل بينها، وعد الحكم على الأسلوبية بالموت هو حكم بموت الأسلوب وهذا غير منطقي؛ لأن الأسلوبية علم استوفى موضوعه ومنهجه، ويعلق الناقد على كل هذا بقوله: " إن العلم. كما هو معروف. يكتسب شرعيته إذا كان له موضوع ومنهج، وإننا لمضطرون إلى الرجوع إلى هذين الأساسين للحكم على شرعية أي علم كان. لا جرم أن الأسلوبية تتخذ الأسلوب مادة وموضوعا لها، وليس يخفى على أحد أن الحكم بموت الأسلوبية، هو في الحقيقة حكم بموت الأسلوب الذي هو مادة هذا العلم، وهذا ما لا يتصوره عاقل. فمن هذه الناحية نحن مطمئنون إلى أن المادة التي تحيا بها الأسلوبية حية لم تمت، ولن تموت مادام هناك أدباء يبدعون... فلنول وجوهنا إذن شطر المنهج. وههنا يكمن الوقوف على مكمن الداء. إننا لو فعلنا، لوجدنا أن كثيرا من الدارسين لم يتقيدوا بالصرامة المطلوبة في مناهجهم؛ مما أدى بالدرس الأسلوبي إلى الوقوع في مزالق خطيرة كانت السبب في الأزمة المزعومة"[2]

واعتمادا على القواميس ، وقف الناقد "يوسف وغليسي". على التطورات التي حدثت لدلالة مصطلح الأسلوب (**Style**) عبر الزمن، فهو اصطناع لغوي مستحدث نسبيا يعود إلى الكلمة اللاتينية (stilus) التي كانت تطلق على ' متقب معدني يستخدم في الكتابة على الألواح المشمعة المدهونة' ثم تطورت دلالتها عبر القرون؛ من الدلالة على كيفية التنفيذ في القرن 14م إلى كيفية التعارك أو التصرف في القرن 15م، إلى كيفية التعبير في القرن 16م، لتتعلق الدلالة بكيفية معالجة موضوع ما في نطاق الفنون الجميلة خلال القرن 17م، وصولا إلى الدلالة الاصطلاحية للأسلوب. في حقل الكتابة.

[1]. يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 82.

[2]. محمد بن يحي، السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1، 2011، ص 1.

المتعلقة بكيفية الكتابة من جهة، ومن جهة أخرى: كيفية الكتابة الخاصة بكاتب ما، أو جنس ما، أو عهد معين، مشيرا إلى **"نوفاليس"** (1801/1722) كأول من استخدم المصطلح، ثم الميلاد الحقيقي للأسلوبية مع **"شارل بالي"** (1947/1865) في كتابه (مبحث في الأسلوبية الفرنسية)[1]

ويشير الناقد "وغليسي" - ضمن السياق نفسه- إلى أن ميلاد الأسلوبية الحقيقي في نظر الغربيين يعود إلى بدايات القرن العشرين، مع "شارل بالي" **Charle Bally 1865/ 1947** في كتابه (مبحث في الأسلوبية الفرنسية) عام (1909) أين بدأ الاهتمام بالدراسات الأسلوبية والتي تقاطعت مع علوم أخرى كالبلاغة، والنقد الأدبي، والشعرية، والتداولية، وغيرها...، ما طرح اتجاهات أسلوبية مختلفة باختلاف باحثيها ومنطلقاتهم، كما هو الحال مع "بريان جيل" الذي ميّز بين ثلاث أسلوبيات (أسلوبية اللغة، أسلوبية مقارنة، أسلوبية أدبية)، و"بيار جيرو" الذي ميّز بين اتجاهين اثنين: (الأسلوبية الوصفية، الأسلوبية التكوينية)، و"ج. م. شيفر" على غرار "جيرو" قد ميز بين اتجاهين اثنين هما: (أسلوبية اللغة، أسلوبية أدبية، وغيرهم من النقاد[2]

أمّا الباحث "محمد بن يحي"، فقد اعتمد في تقديمه للمفهومين الغربيين (اللغوي والاصطلاحي) للأسلوبية **(Stylistique)** على ما قدّمته دراسات بعض النقاد العرب أمثال دراسات: "عبد السلام المسدي"، "نور الدين السد"، "فتح الله أحمد سليمان"،" سعد مصلوح"، وبعض الكتب المترجمة ككتابات "ستيفن أولمان"، و"دي سوسير"، مشيرا إلى "فون درجا بلنتش" كأول من أطلق مصطلح أسلوبية على دراسة الأسلوب في ظل الانزياحات اللغوية والبلاغية في الكتابة الأدبية، بعدما انتقلت كلمة **(Style)** من معناها الأصلي المتعلق بالكتابة، ثم استخدمت في مجالات أخرى كفن المعمار ونحت التماثيل، ثم عودتها إلى مجال الدراسات الأدبية. ويؤثر الناقد الترجمة العربية (الأسلوبية) على باقي الترجمات نظرا لكثرة استعماله، أما مصطلح (أسلوبيات) فيرى أنه استعمل في الغالب الأعم للدلالة على الاتجاهات الأسلوبية.[3]

---

[1]. ينظر يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح، ص 175.

[2]. ينظر يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، ص 78، وما بعدها.

[3]. ينظر محمد بن يحي: السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري، 2011، ص 10، 11.

ولم يتوقف الباحث كثيرا عند التعريفات الموضوعة لمصطلح الأسلوبية عند نقاد الغرب (شارل بالي، تودوروف تزيفان، رومان جاكبسون، ميشال ريفاتير)، وكانت خلاصة موقفه منها أنها جميعها تتفق حول نقطتين هامتين ، تتمثل الأولى في اعتمادها دراسة إحدى ثنائيات "سوسير" وهي (الكلام **Parole**)، والثانية أنها ترتكز على اللغة **Langue** كمدخل جوهري في دراسة النصوص الأدبية، مجاريا في ذلك رأيي كل من "ريمون طحان"، و"جورج مولينيه"[1]، وبمناسبة حديثه عن مفهوم (الأسلوب) وتعدد تعريفاته عند الغرب، فقد علق الناقد على هذه الظاهرة متبنيا وجهة نظر "عبد السلام المسدي" بقوله: "وقد تعددت تعريفات الأسلوب فقد جمع ويلي ساندرز Willy sandres في كتابه "نظرية الأسلوب اللسانية" ثمانية وعشرين تعريفا للأسلوب، ومرد ذلك التعدد في تعريفاته يرجع إلى الزاوية التي ينظر منها كل باحث في دراسته للأسلوب. وعلى الرغم من ذلك التعدد إلا أنه (ليس من نظرية في تحديد الأسلوب إلا اعتمدت أصوليا إحدى هذه الركائز الثلاث 'المخاطب، والمخاطب، والخطاب' أو ثلاثتها متعاضدة متفاعلة). فالنص الأدبي بالدرجة الأولى رسالة لغوية، وهو بذلك يقتضي وجود مرسل(منشئ/مخاطب)، ونص (خطاب)، ومتلق (مخاطب)"[2]

و يطرح الناقد "فاتح علاق" - ضمن السياق ذاته- وجهة نظر ، يرى من خلالها أن الأسلوبية علم قائم بذاته مختلف عن اللسانيات والبلاغة وعلم النفس، يستفيد من هذه العلوم بما يخدم مناهجها مستدلا على قوله بأهم الفروق بين الأسلوبية والبلاغة من جهة، وطبيعة موضوع الأسلوبية المتمثل في الخطاب الأدبي وأساليبه من جهة أخرى "فالأسلوبية علم مستقل لها منظورها الخاص للنص الأدبي ولها مناهجها الخاصة لتحليل الظاهرة الأسلوبية وإجراءات خاصة. وهي تستفيد من هذه العلوم بقدر ما يخدم مناهجها ويوسع من إجراءاتها ويكشف السمات الدالة على المستويات المختلفة، فهي تهتم بالخصائص الأسلوبية على المستوى الصوتي والإيقاعي وعلى المستوى الصرفي وعلى المستويين التركيبي والدلالي. إنها تركز على السمات والملامح التعبيرية التي تجعل من النص أسلوبا مخصوصا، ولا تقف عند كل الوقائع اللغوية أو التركيبية أو الدلالية. كما أنها لا تقتصر على ألوان البيان أو البديع كما تفعل البلاغة،

[1]. ينظر محمد بن يحي: السمات الأسلوبية في الخطاب الشعري ، ص 12،13.

[2]. المرجع نفسه، ص 30.

بل تتجاوز ذلك إلى جملة من التراكيب الأسلوبية خارج المعايير البلاغية، وتتجاوز أسلوبية الجملة إلى أسلوبية الوحدات الكبرى للخطاب الأدبي مثل البنية السردية والوصفية والحوارية، بل هي تتجاوز ذلك إلى بنية الزمان والمكان والشخصية والحبكة في الرواية مثلا. فالأسلوبية تتجاوز لغة الجملة إلى لغة النص"[1].

وهو هنا يتّفق مع ما أقرّه "نور الدين السد"، حول استقلالية الأسلوبية كعلم قائم بذاته، ردا على رأي كل من "جوزيف كورتيس" و"غريماس" اللذين لم يستندا إلى دليل علمي مقنع ينفي استقلالية هذا العلم ويجعله مجرد حقل من حقول البلاغة التقليدية كما يرى "فالأسلوبية استفادت من الحقول المعرفية وبخاصة من اللسانيات ولكنها استطاعت أن تحدد شروط استقلالها علما قائما بذاته، بدراسة المتغيرات اللسانية إزاء المعيار، لأنها تركز على دراسة الأسلوب الذي هو في تعريف الأسلوبيين انزياح عن المألوف، وخرق للنظام اللغوي الذي يفرضه مستعملو اللغة، لتتحول اللغة في إطار هذا النظام إلى مجموعة قوانين والتزامات يفرضها النظام أو العرف والتقليد"[2].

ومن هنا يقر الناقد بتحديد ماهية الأسلوبية ويعتبرها علما لا منهجا كما ذهب إلى ذلك الناقد "محمد بلوحي"؛ إذ أنها تتوافر على شروط العلمية بالإضافة إلى اكتمال مقولاتها الأساسية الخاصة بتحديد السمات الأسلوبية في الخطابات الأدبية[3]

ويتّفق معه الناقد "يوسف وغليسي"؛ إذ يرى أن الأسلوبية **Stylistique** ليست منهجا قائما بذاته وإنما هي علم منهجها البنيوية نفسها ، وعنها يقول: "ومعنى ذلك أن الأسلوبية ليست منهجا قائما بذاته، يستوفي كافة الضوابط المنهجية، إنما هي علم أصلا، وإذا كان من شروط أي علم أن يكون له موضوع ومنهج، فإن موضوع الأسلوبية هو دراسة الأسلوب، أما منهجها فلا غرابة أن يكون البنيوية نفسها (التي هي منهج وليست علما، بخلاف الأسلوبية والسيمائية)، مثلما تتكئ الأسلوبية منهجيا على بعض الإجراءات الملتصقة بها (الانزياح، الكلمات المفاتيح، النظم، إمكانات النحو، الإحصاء)"[4]، وأشار الباحث إلى أهم الفروق بين الأسلوبية والبنيوية التي طرحها "عبد

[1]. فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري، ص 130، 131.

[2]. نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ص 24.

[3]. ينظر المرجع نفسه، ص 59.

[4]. يوسف وغليسي: النقد الأدبي الجزائري من اللاسونية إلى الألسنية، ص ص 146،145.

السلام المسدي"، مضيفا إليها فرقين اثنين: أولهما نظرة البنيوية إلى النص على أنه وجود بالفعل، وهذا الوجود تقرنه الأسلوبية بنظيره الوجود بالقوة.

وثانيهما أن الأسلوبية تتخطى . أحيانا . حدود النص إلى نفسية صاحبه (الأسلوبية التكوينية)، في حين تشتغل البنيوية على النص ولا شيء خارجه وتنادي بفكرة (موت المؤلف)[1]

وتجاوز الناقد "فاتح علاق"، تعريف "بوفون" Bouffon الشهير للأسلوب الذي يجعل منه الكاتب نفسه، متبنيا المفهوم الذي وضعه له "ريفاتير" [2]RIffater بقوله: "فالأسلوب هو النص كما قال ريفاتير. وليس الأسلوب هو الرجل أو الإنسان كما قال بوفون، ذلك أن الأسلوب ليس وثيقة نفسية عن صاحبه، الأسلوب خلق وإبداع، تجاوز لنفس المبدع وحفر مجرى لغوي خاص يصنع الكاتب نفسه"[3]

2،2 الأسلوبية بين العلمية وحدود الانتماء

أثارت الأسلوبية إشكالا* في الحقلين: الأدبي واللساني بعدما كان يشكل مدلولها في بداية ظهورها المعالم الموجودة بين الأدب واللسانيات، وهو الحد الذي طالما شغلته البلاغة آنذاك قبل أفولها، فتضاربت الآراء وتباينت المواقف حول طبيعة العلاقة بين (الأسلوبية) وغيرها من العلوم الأدبية واللغوية: البلاغة، اللسانيات، النقد الأدبي، النحو، الشعرية، التداولية...وغيرها.

يرفض الناقد 'بشير تاوريت"، وجهة النظر التي ترى أن الأسلوبية بلاغة جديدة أو هي وريثة البلاغة أو بديل لها، وهذا في نظره تبسيط لمفهوم الأسلوبية وإنقاص من قيمتها المعرفية، فهي **(الأسلوبية)** من وجهة نظره وإن تقاطعت مع البلاغة في بعض المسارات إلا أنهما تفترقان عن بعض من حيث الغاية والمفهوم والإجراء ، وكل محاولة عنده في إسقاط التصورات الحديثة على المفاهيم والحقول القديمة هي وقوع في التقويل المزيف، ويميز بينهما بقوله: "إن ما يميز البلاغة عن الأسلوبية هو معيارية الأولى

---

[1]. ينظر يوسف وغليسي: النقد الأدبي الجزائري من اللاسونية إلى الألسنية ، ص 147.

[2]. Michael Reffatere : La production du texte, Seuil, Paris, France, 1979, p 8 -

[3]. فاتح علاق: في تحليل الخطاب الشعري، ص: 130.

* أشار إلى هذا الإشكال عبد القادر شرشار في كتابه: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص، ص 47.

ووصفية الثانية، وإن كانت البلاغة قد فصلت بين ثنائية الشكل والمضمون، فإن الأسلوبية قد عملت على الربط بين قطبي هذه الثنائية، إذ تؤمن بالترابط الوثيق بين الدال والمدلول، لأنها تحول الحدث الإبلاغي إلى حدث تأثيري جمالي"[1]، وكما رأينا سابقا فالأسلوبية عنده علم مستقل له خصوصيته وهو يعنى بدراسة الأسلوب.

وفي حديثه عن الأصول اللسانية للأسلوبية يأخذ الناقد باعترافات النقاد الغربيين أنفسهم بالعلاقة بينها (الأسلوبية) وبين (اللسانيات) مشيرا في البداية إلى المحاضرة التي ألقاها "جاكبسون" في الندوة العالمية بجامعة (إنديانا) ، والتي مهدت لبناء جسر بين اللسانيات والأدب ثم أعمال الشكلانيين الروس التي ترجمها "تودوروف" إلى الفرنسية، بالإضافة إلى المفاهيم الموضوعة للأسلوبية من طرف "ريفاتير"، "دولاس"، "أريفي"، وكذا موضوع كلا العلمين، وأشار بعدها إلى أثر ثنائيات "دي سوسير" في الدراسات التي جاءت بعده وكيفية استفادة الدرس الأسلوبي منها، ليختم مبحثه بقوله: "هذه هي أهم النقاط المشتركة بين الأسلوبية واللسانيات، فقد غدا الأثر اللساني واضحا وساطعا في جبين الأسلوبية، ابتداء بتصريحات النقاد الغربيين المنظرين لاتجاهات الأسلوبية. وفي القول بمبدأ استقلالية اللغة عن باقي الظواهر العلمية الأخرى، وفي القول بالنظرة الوصفية والثنائيات لاسيما ثنائية الدال والمدلول، والصوت والمعنى والمحور التوقيتي الثابت والزمني المتطور، ومبدأ الاختلاف والاعتباطية (...) ، يضاف إلى ذلك أن كليهما اتخذ من اللغة آلية ومادة طيعة للمقاربة"[2] مما يعني أن الأسلوبية. عنده. ترتبط باللسانيات من حيث النشأة فقط.

أمّا الناقد "رابح بوحوش" فاكتفى بطرح أراء بعض النقاد الغربيين وبعض النقاد العرب حول علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى (البلاغة، النقد، الشعريات، اللسانيات، النحو) دون مناقشة، ومن أمثلة ذلك ما جاء به في حديثه عن علاقة الأسلوبية بالبلاغة؛ إذ عدّد وجهات النظر حول هذه العلاقة، ف"جيرو" يقر بأنها بلاغة جديدة مما يعكس أهميتها (البلاغة) عند اللسانيين، ويدعو "جورج مونين" إلى اعتماد النظرة المعيارية للبلاغة القديمة، ويحذو حذوهما الناقد "صلاح فضل"، كما ينوّه

[1]. بشير تاوريت: الحقيقة الشعرية على ضوء المناهج النقدية المعاصرة والنظريات الشعرية، ص 150.
[2]. المرجع نفسه، ص ص 164، 165.

الناقد إلى أن هناك من يفرق بينهما لا على أساس الهجر والقطيعة بل على اعتبارات أخرى[1]

يؤكّد الناقد في دراسة لاحقة على العلاقة بين اللسانيات والأسلوبية؛ إذ عدّ هذه الأخيرة حقلا من حقول اللسانيات الذي يهتم بالأسلوب، وفي حديثه عن مسار تحول النقد الفكري من اهتمامه باللغة إلى اهتمامه بالأسلوب مع "شارل بالي" رائد الأسلوبية التعبيرية، يشير ناقدنا إلى العجز الذي أصاب اتجاه "بالي" التعبيري أمام عناد (الخطاب) والذي دفعه إلى الاستنجاد بالمنهج اللساني المتسم بالصرامة والموضوعية كما يرى. أما اتجاه "ليوسبتزر" النقدي ففشل هو الآخر في محاولة الاقتراب من تخوم الخطاب الأدبي ووقع في إشكالات منهجية إثر المعالجات الجافة، والدراسات العاطفية القائمة على الذوقية من دون ضوابط علمية، ما أفضى إلى أثر دون جمال، وهي نقطة الضعف التي جاءت في صالح الخطاب مؤكدا على رفضه الهيمنة والسيطرة[2]

أمّا الناقد "نور الدين السد"، فقد أشار إلى عدة اختلافات بين العلمين؛ إذ قدّم شكلا[3] يوضّح من خلاله أهمّ الفروق الدقيقة بين (الأسلوبية) بكل اتجاهاتها و(البلاغة) بوجهيها العربي والغربي حصرها في 17 عنصرا، منها ما يتعلق بطبيعة العلمين كأن تكون البلاغة معيارية ذات أحكام تقييمية في مقابل وصفية الأسلوبية التي تبتعد عن الأحكام التقييمية أو من حيث غايتهما؛ إذ تسعى الأسلوبية إلى تعليل الظاهرة الإبداعية بعد أن تقرّر وجودها، في حين غاية البلاغة تعليمية...وغيرها من الاختلافات مؤكدا على استقلالية (الأسلوبية) كعلم قائم بذاته له موضوعه وغايته التي تميزه.

وترى الباحثة "نعيمة سعدية" أن البلاغة تتداخل مع الأسلوبية في الأهداف والوسائل وهذا في نظرها ما دفع الناقد "بيير جيرو" إلى وصفها بـ (أسلوبية القدامى) أو (وريثة البلاغة) أو (بديلة البلاغة)، وفي تعليقها على ما قدّم "جيرو" تطرح الباحثة وجهة النظر نفسها التي قدمها "بشير تاوريت". سابقا. وبحرفيتها دون الإشارة إلى مصدرها؛ إذ ترى أن هذا (تبسيط لمفهوم الأسلوبية وإفقار لكينونتها) وهذا بالنظر إلى أوجه الاختلاف بين البلاغة المعيارية والأسلوبية الوصفية، لتلخص في مخطط بياني أهم ما قيل حول

[1]. ينظر رابح بوحوش: الأسلوبيات وتحليل الخطاب، ص ص 49، 50.

[2]. ينظر رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب اللساني، ص ص 77، 78.

[3]. ينظر نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب، ج1، ص 28.

علاقة الأسلوبية بالبلاغة فكانت إما: علاقة (مساواة)، (بديلا لها)، (وريثا لها)، (امتدادا معرفيا لها)، ثم تستتبع هذه العلاقات بعلاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي مستهلة حديثها بالتساؤلات الآتية[1]: بما أن الأسلوبية وليدة البلاغة وبديل لها وبما أن البلاغة قديما كانت أداة توظف لخدمة النقد الأدبي، فهل تعتبر وريثا مثلها ووسيلة من وسائل النقد أم نعتبرها منهجا مستقلا متميزا من مناهج النقد ومباشرة النصوص؟ ، وهل بإمكان الأسلوبية أن تنفرد بسلطان الحكم في النقد والإبداع؟

وبعد أن قدّمت الباحثة وجهتي النظر حول دراسة النص الأدبي استنادا إلى أقوال النقاد الغربيين أمثال: "بيير جيرو"، "ويليك" و"وارين"Weluk/Waren، "ستاروبنسكي"Starbouneskoy تصل إلى موقف ترى فيه ما رآه عبد السلام المسدي علاقة مد وجزر بمبرر التقارب بينهما من أجل الوصول إلى أسرار النص فـ "إذا استقر لدينا أن الأسلوبية هي نظرية علمية في دراسة الأسلوب، وأنها كبقية المناهج النقدية تسعى إلى بلورة نظرية في تعريف الخطاب الأدبي، أفلا يكفي هذا لتصبح الأسلوبية نظرية نقدية، فتكون بديلا عن النقد الأدبي؟. إن التقارب بين الأسلوبية والنقد من أجل كشف خفايا النص، جعل من الأولى إحدى - مناهج الثاني، من جهة، وجعل الأسلوبية تتولى وصف أوجه التراكيب ووظيفتها في النظام اللغوي النصي، بينما يتجه النقد إلى إعطاء العلل والأسباب من جهة ثانية، وعليه يمكن القول (في النقد بعض ما في الأسلوبية وزيادة، وفي الأسلوبية ما في النقد إلا بعضه)"[2].

أما العلاقة بين الأسلوبية واللسانيات. في نظر الباحثة. فهي علاقة عضوية؛ إذ هي حقل من حقولها؛ فقد استفاد الباحث الأسلوبي من أهم المبادئ الأساسية في حقل اللسانيات بكل اتجاهاتها بدءا باللسانيات الشكلانية الحديثة ذات الجذور السويسرية (نسبة إلى دي سوسير) وحتى لسانيات "نوام تشو مسكي" التي استفادت من مفاهيمها خاصة البنيتين (السطحية والعميقة)، ولتوضيح الكيفية التي تستفيد منها (الأسلوبية) في استثمار المفاهيم اللسانية التشومسكية تستضيء الباحثة بما قدمه "إيريك انكفيست" E. Enkevist، لتخلص إلى القول: "فالعلاقة بين الأسلوبية واللسانيات علاقة عضوية فهي فرع من فروع علم اللسان وهي أصغر تلك الفروع سنا

[1]. ينظر نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، ص 31.

[2]. نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري، ص 32.

وواقلها تطورا، وهي تنتسب إلى اللسانيات موضوعا ومنهجا؛ أما موضوعها، فهو النظر في النتاج الأدبي، باعتباره حدثا لغويا لسانيا. وأما منهجها ففي النفاذ إلى أسلوب النص، لأنه المنهج اللغوي الذي يروم الوقوف على الخصائص اللغوية فيه، وعلى العلاقة الرابطة بين هيكله اللغوي ووظيفته الشعرية، وعليه كانت الأسلوبية حقلا لسانيا متميزا."[1]. وتضيف الناقدة الحديث عن علاقة (الأسلوبية) بالشعرية والتداولية.

وأمّا (الأسلوبية) في نظر الناقد "مسعود بودوخة"، فهي نتيجة لتزاوج اللسانيات والنقد الأدبي وهي ذات منهج لساني. وهذا من المسلمات عند الناقد. أو هي محاولة لتوظيف اللسانيات منهجا ونتائج في دراسة النصوص من أجل الكشف عن ظاهرة الأسلوب[2]

4. خاتمة:

يمكن إيجاز نتائج هذا البحث فيما يلي:

_اختلاف النقاد في طرق تمثل الاتجاه الأسلوبي وتباين جهودهم، أما المقابل العربي للمصطلح الأجنبي **stylistique** فتراوح بين الأسلوبيات، علم الأسلوب، الأسلوبية.

- تباين الآراء بين نقادنا حول الحدود النظرية للأسلوبية؛ فمنهم من رآها علما مستقلا بذاته موضحا الفروق بينها وبين العلوم الأخرى، ومنهم من اكتفى بطرح آراء النقاد الغربيين والعرب حول هده العلاقة.
- تمايزت مواقف نقادنا في مسألة علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي خاصة ، فكانت إما علاقة تكامل كما رأينا مع الناقدة "نعيمة سعدية"، أو علاقة تزاوج كما أشار إلى ذلك "مسعود بودوخة"، أو كانت علما قائما بذاته كما أقر بذلك "نور الدين السد"، "فاتح علاق"،"محمد بن يحي"، وهذه الآراء والتقسيمات أشار إليها "مصطفى عليان" وهو بصدد تقييم اتجاهات الدرس الأسلوبي العربي في مجلة فصول؛ إذ اختلفت الآراء حول علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي، على أساس مرجعية النشأة والاختصاص ، فظهرت في اتجاهات ثلاثة هي :

[1]. نعيمة سعدية: الأسلوبية والنص الشعري ، ص ص 33، 34.

[2]. ينظر مسعود بودوخة: الأسلوبية وخصائص اللغة الشعرية، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2015، ص 14.

- علاقة التّضاد الحاد: أي لا علاقة للأسلوبية بالنقد الأدبي، بمبرر أن منطلقها في دراسة النص الأدبي لم يكن ذو علاقة بالنقد، إذ هناك فروق بين الميزة اللغوية في النصوص والقيمة الفنية، فالأولى وصفية، والثانية حكمية معيارية على حسب "حمادي صمود".
- علاقة التضايف والمعاضدة: أي أن التضايف بين اللسانيات والنقد الأدبي ولد الأسلوبية.
- علاقة التكامل: علم الأسلوب والنقد الأدبي يتكاملان ويتعاونان كما يرى ذلك "شكري عياد" و"شكري عزيز ماضي".1.
- لم يكن الخلاف في علاقة الأسلوبية بالعلوم الأخرى هو الإشكال الوحيد بين نقادنا، بل يلاحظ كذلك إغفالها أهمية التفريق بين مصطلحي (أسلوب/ أسلوبية) وركزت جهودها على مفهوم (الأسلوبية) أكثر منها على مفهوم الأسلوب.

[1] . ينظر مقدمة مصطفى عليان لكتاب رامي علي أبو عايشة: اتجاهات الدرس الأسلوبي في مجلة فصول (2005/1980)، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2010، ص ص 1،2.